آبالام

محمد أمين الكُرديني

عندما تكون في مكان ناءٍ بعيد، لا يحيط بك إلا الظلام وكائنات لا تراها، ولكنها تراقبك عن كثب حتى أنها لتسمع أنفاسك اللاهثة ودقات قلبك المتسارعة.

أغلقت (داليا) التلفاز وهي تتأفف فهي تبغض أفلام الرعب وحتى إعلاناتها فهي لا تتحمل مشاهد الدم والعنف ولكن احساسها بالملل طغى هذا اليوم ولا تعرف سببًا، إلا أنها تذكرت أنها تسلمت مظروفًا غريب الشكل تركته صديقتها المقربة (حسناء) لها مع حارس العقار همت بفتح المظروف وراع انتباهها أنه مختوم بختمٍ له رائحة نفاذة وكريهة في آن

وجدت (داليا) خطابا يبدو قديمًا مصفرًا فتحته وقرأت بصوتٍ مسموع:

"عزيزتي داليا أرجو أن تقرأي خطابي هذا بتأنٍ شديد وبصوت مسموع ولا يكون أحدًا بجانبك، وفي نهاية الخطاب ستعرفين السبب أود أن أقص عليكِ حادثة قديمة قدم الزمن، أكل منها الدهر قبل خلق أبانا آدم عليه السلام كان يسكن الأرض قبائل من الجن كلهم من نسل سوميا أبو الجن وكان مرشدًا لهم إلا أنهم بعد موته عاثوا في الارض فسادٍ وقتلوا وعذبوا، وصارت مفسدة عظيمة إلى أن أذن الله وبعث عليهم ملائكة شداد قتلوا منهم من قتلوا وأسروا منهم عددًا كبيرًا، وكان منهم عزازيل و آبادون و آبالام وهم من محاربي الجن الأشداء ولكنهم تعلموا من الملائكة الصلاة والتسبيح، وصاروا مثلهم يعبدون الله حتى أن الله تعالى أوكل

لعزازيل أن يكون خازنًا على السماء الدنيا وكان يعاونه رفيقاه من بني جنسه واستطاعوا في فترة وجيزة أن يستأثروا بثقة الملائكة ولكن لم يكن شيء ليبقى على حاله، ولأن الله يعلم ما في نفوسهم فظهر هذا جليًا عندما خلق آدم وأمرهم بالسجود له فعظم ذلك على عزازيل الذي صار إبليس فيما بعد وكذلك أبادون ولكن ثلاثتهم نفوا إلى الأرض لتكبرهم على أمر الله؛ فكان لابليس حقده على بني آدم وصار أبادون على نفس النهج إلا آبالام الذي هادن الإنس وصار ودودًا يساعد من ضل الطريق، ويقطع الأودية والأنهار بحثًا عن دواء لمريض ويلاطف الصغار، يتشكل بصور يحبونها يحميهم من شر أفاعي الجحور وعقارب الرمال وصارت حياته على هذا المنوال حتى عُرف واديه بوادي آبالام أو وادي الجن إلى أن التقى بجنية من جنيات البحور اسمها (لاي ايشا) كانت تنصب الفخاخ للايقاع بنساء الإنس اللاتي يوشك أن تلدن وتتحايل عليهن حتى يسقط حملهن، أو يلدن طفلًا ميتًا إلا من عصم الله وقدر له الحياة؛ فشكى الناس حالهم إلى آبالام حتى ينقذهم، فحمل عليها حملة واستطاع أن يأسرها ويقيدها بل وسحبها إلى البر إلا أنه وقع أسيرًا لجمالها الأخاذ وفتنتها الطاغية.

يومٌ بعد يوم زاد العشق والهيام بينهما وأصبحا لا يفترقان أبدًا ولما عرف الحب باب قلب لاي ايشا أزاح بغضها للإنس جانبًا وتزوجا وصارا حبيبان عاشقان، سكنا أحد كهوف جبل "توبقال" في بلاد المغرب، ولكن يبدو أن الرياح فعلًا لا تأتي بما تشتهي السفن، فقد خسر نساء كثيرات حملهن لسبب مجهول ولكنهن اجتمعن وأجمعوا أن الجنية التي تسكن أعلى جبل توبقال هي من عاودت فعلتها وتتسبب في سقوط حملهن قبل أن يكتمل.

قررن أن يكيدون لها كيدًا فانتظروا حتى كان "آبالام" بينهم وطلبوا منه أن يستضيفون "لاي ايشا" بينهن كنساء يضيفونها لأجله فأذعن لهن، ورغم رفض "لاي ايشا" إلا أنها رغبت في مد جسور المودة بينها وبين نساء الإنس.

وبينما كان آبالام يهيم بعيدًا ليأتي لحبيبته بطعام، نصبن لها الفخ وأتوا بساحرٍ عليم، قرأ عليها كلامًا بلغة غريبة فاحترقت وهي تصرخ باسم حبيبها فزعة من شدة الألم تستنجد به وعندما سمع صوتها هرول إليها، فوجدها وقد قضت نحبها، فوقف واجمًا ثم انتفض صارخًا قبل أن يحرق على أهل القرية بيوتهم، لم ينج منهم أحدًا!

بعد ثلاثة أيام زاد الألم داخله ولأول مرة ذاق عطش الانتقام من بني آدم على ما فعلوه بحبيبته لاي ايشا فأقسم قسمًا لا يرتد عنه أن يقتل كل من يذكر اسمه أو اسم زوجته بصوتٍ مسموع، أما أنا فكتبت دون أن أقرأ أما أنت فقد تلوت لتوك اسمه سامحيني يا صديقتي ليس بيدي من الأمر شيء، أما أنا أو أختار له بديلًا ليبر بقسمه.

أما الآن ستجدين الضوء في غرفتك سيرتعش قليلًا ثم ما يلبث أن يتلاشى عندها التفتِ إلى الشخص الجاثم خلفك، انظري في عينيه الحمراوان قبل أن يطبق كلتا يديه، ويجعلهما في رقبتك الجميلة وداعًا يا صديقتي، وليغفر الله لي ولك."

تسارعت دقات قلب داليا حتى كأنه يحاول الخروج من صدرها وهي تطوي الخطاب الملعون وتحاول جاهدة أن تلتفت خلفها ورويدا رويدا التفت قبل أن تصرخ صرخة مدوية ويدان معروقتان تعتصر رقبتها العاجية في تشفٍ وتلذذٍ، كانت

حسناء تسير في غرفتها باكية لفقدانها أعز صديقاتها بسببها وبسبب اللعنة التي وجدت نفسها فيها دون ذنب اقترفته إلا أنها فقط تشبه لاي ايشا إلى حدٍ كبير مما منعه من قتلها، ولكنه استخدمها عوضًا عن ذلك في اصطياد ضحاياه لكي يشبع جوعه ونهمه إلى الانتقام من بني الإنس، وهي معذبة الفؤاد جريحة لا تقوى على فعل شيء سوى الانصياع لأمره.

ذرفت دمعة ساخنة عبرت أخدود وجنتها الملساء وصولًا إلى شفتيها المضمومتين في قبلة طويلة، وهي تغلق المظروف الأصفر، وتكتب على ظهره اسم أعز الناس على قلبها

شقيقتها الكبرى!

openkandl.com